

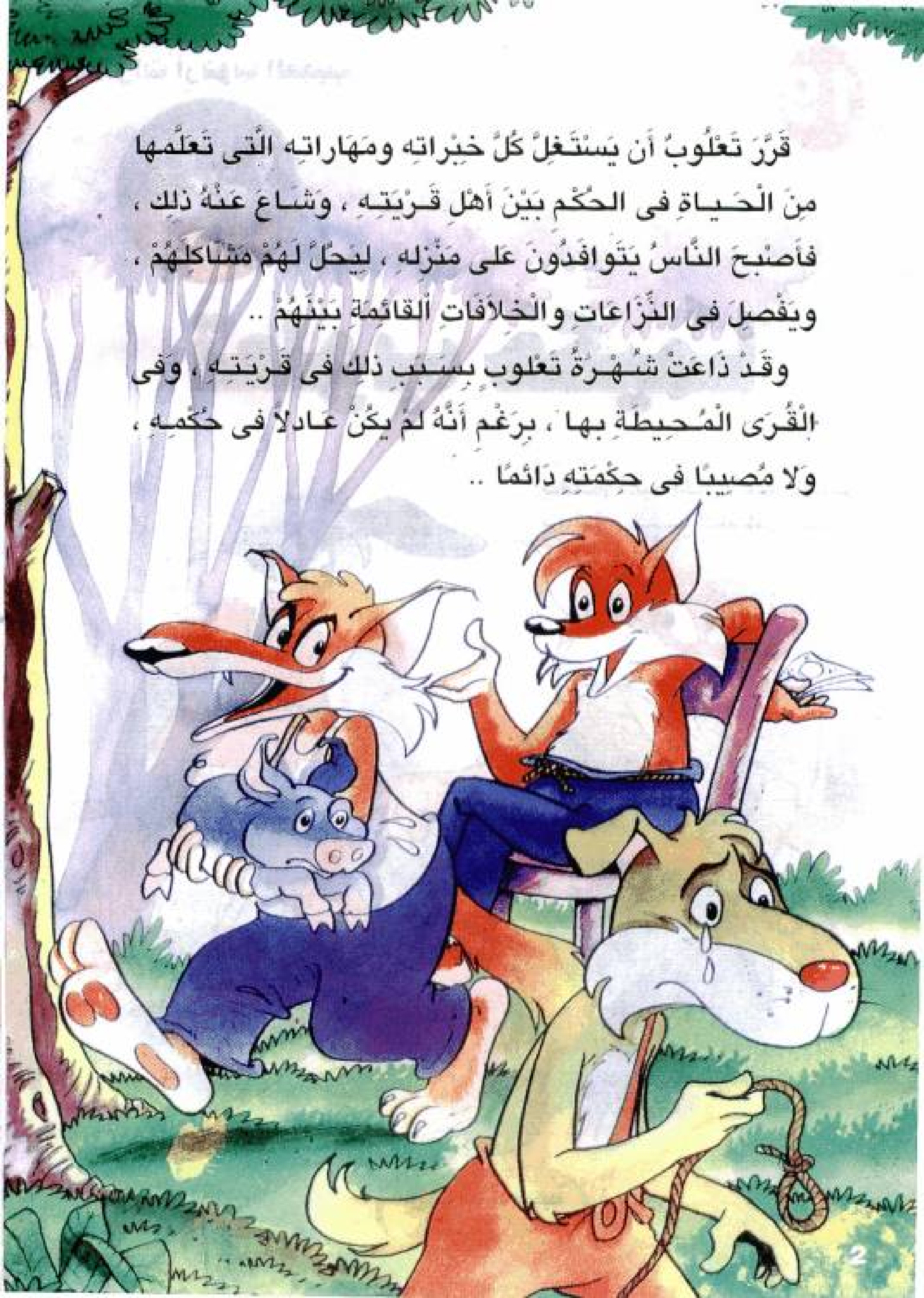
مغامرات أرنوب العجيب



ثعلوب حكيمًا

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : عبد الشافي سيد

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



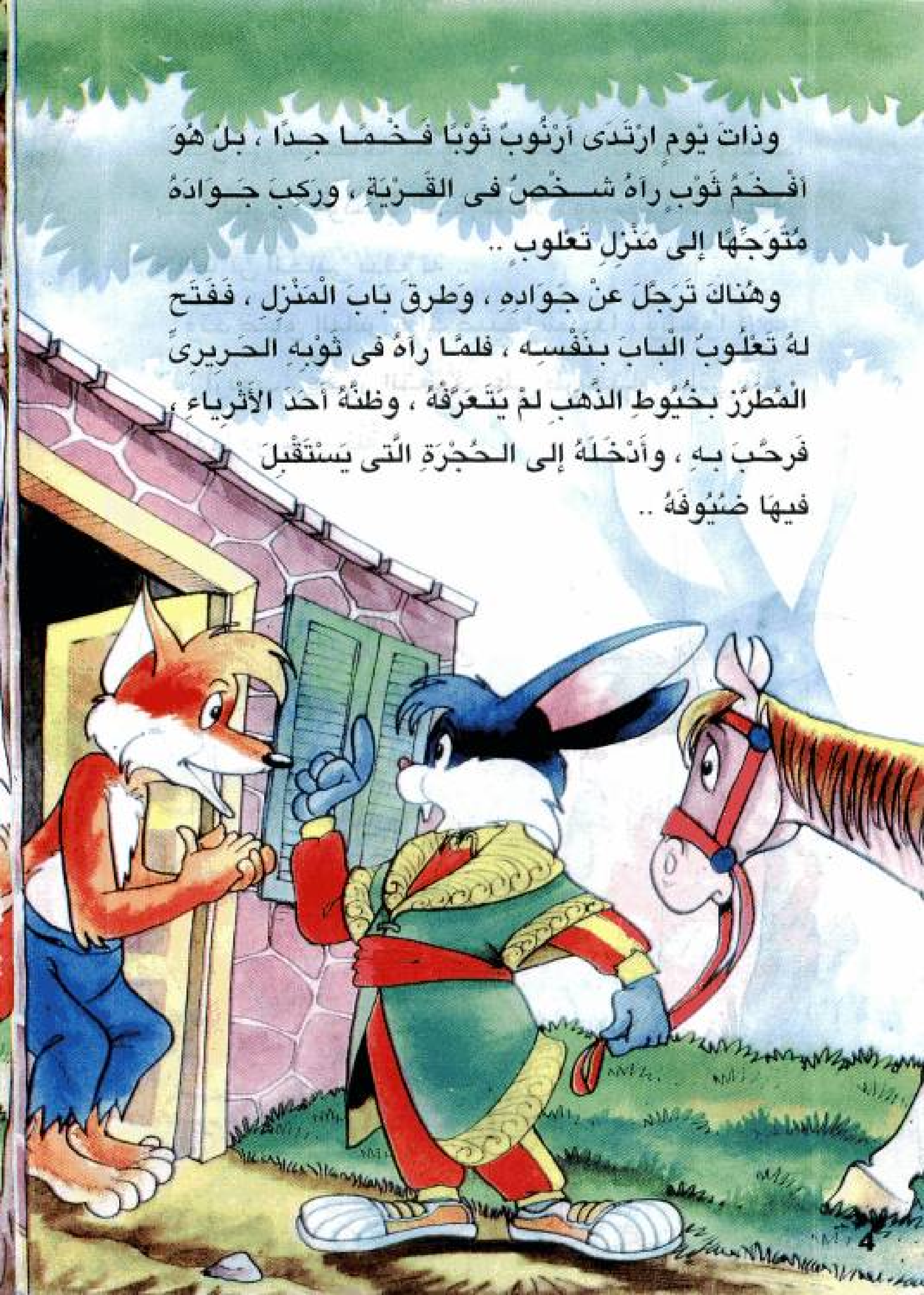
قَرَّرَ تَعْلُوبُ أَنْ يَسْتَغِلَّ كُلَّ خِبْرَاتِهِ وَمَهَارَاتِهِ الَّتِى تَعَلَّمَهَا مِنَ الْحَيَاةِ فِى الْحُكْمِ بَيْنَ أَهْلِ قَرْيَتِهِ ، وَشَاعَ عَنْهُ ذَلِكَ ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَوَافَدُونَ عَلَى مَنْزِلِهِ ، لِيَحُلَّ لَهُمْ مَشَاكِلَهُمْ ، وَيَفْصِلَ فِى النِّزَاعَاتِ وَالْخِلافَاتِ الْقَائِمَةِ بَيْنَهُمْ ..

وَقَدْ ذَاعَتْ شُهْرَةُ تَعْلُوبِ بِسَبَبِ ذَلِكَ فِى قَرْيَتِهِ ، وَفِى الْقُرَى الْمُحِيطَةِ بِهَا ، بِرَغْمِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَادِلاً فِى حُكْمِهِ ، وَلا مُصِيبًا فِى حِكْمَتِهِ دَائِمًا ..

كانَ فى استِطاعَةِ تَعلُوبٍ أنْ يُبرِّئَ المُذْنِبَ ، ويَحكُمَ ضِدَّ البَرِىءِ ، ويقلِبَ الحقَّ باطِلاً ، ويُزَيِّفَ الحَقِيقَةَ ، طَالمَا أنَّ الجَانى يَدفَعُ لهُ ..

وقَدْ ضاقَ النَّاسُ بذلِكَ ضِيقًا شدِيدًا ، وَشَكَوُا الأمْرَ إلى أَرْنُوبٍ ، فَقَرَّرَ التَّعَرُّفَ على طَرِيقَتِهِ ، حتَّى يُلَقِّنَ تَعْلوبًا دَرْسًا وَعِظَةً ..





وذاتَ يَوْمٍ ارْتَدَى أرْنُوبُ ثَوْبًا فَخْمًا جِدًا ، بلْ هُوَ أفْخَمُ ثَوْبٍ رآهُ شَخْصٌ فى القَرْيَةِ ، وركبَ جَوادَهُ مُتَوَجِّهًا إلى منْزِلِ تعْلوبٍ ..

وهُناكَ تَرجَّلَ عنْ جَوادِهِ ، وَطرقَ بابَ الْمَنْزِلِ ، فَفَتَحَ لهُ تَعْلُوبُ الْبابَ بنَفْسِهِ ، فلمَّا رآهُ فى ثَوْبِهِ الحَريرِيِّ الْمُطرَّزِ بخُيُوطِ الذَّهَبِ لمْ يَتَعَرَّفْهُ ، وظنَّهُ أحدَ الأثْرياءِ ، فَرحَّبَ بِهِ ، وأدْخَلَهُ إلى الحُجْرَةِ الَّتى يَسْتَقْبِلُ فيهَا ضُيُوفَهُ ..

وفى الداخلِ صارحهُ أرنُوبُ بالحقيقةِ ، معرِّفًا إيّاهُ بنفسِهِ ، فنظرَ إليهِ تعلُوبُ باحتقارٍ قائلاً :

ـ مِنْ أينْ سرقْتَ هذا الثّوْبَ الفخْمَ أيُّها المُحْتالُ ؟ إنّ هذا الثّوْبَ لايليقُ بشخصٍ تافهٍ مثلكَ ، وإنّما يليقُ بشخصٍ نابهٍ حكيمٍ مثلِي ..

ودُونَ أنْ ينْطِقَ أرنُوبُ بحرْفٍ واحدٍ نزَعَ الثّوْبَ عنْ نفْسِهِ ووضعَهُ على كتفَيْ تعلُوبٍ ..



فَرِحَ تَعْلوبُ بِالثَّوْبِ ، وراحَ يَرْتَديهِ على عَجَلٍ ، ثُمَّ أَخَذَ يَدُورُ فى الْمَكانِ مُخْتالاً بِهِ ، وهُوَ يتأمَّلُ نفْسَهُ فى الْمِرْآةِ ، تَارَةً مِنْ هذا الْجَانِبِ ، وتارةً مِنْ ذَاكَ الْجَانِبِ ..

وبعْدَ أنِ انْتَهَى منْ ذلِكَ جَلَسَ مُخْتالاً ، وقالَ لأرْنُوب :

ـ يَا لَهُ مِنْ ثَوْبٍ رَائعٍ .. لَكَمْ أسْعَدْتَنى ياعَزِيزِى أرْنُوبًا بِهَذِهِ الهَدِيَّةِ ، الَّتى لا تُقدَّرُ بِثَمنٍ ..



فقالَ أرْنُوبُ : أنْتَ يا عَزِيزى تَعْلوبًا تَسْتَحِقُّ أكْثَر مِنْ ذلكَ ، بِسَبَبِ ما سَمِعْتُهُ عنْ حِكْمتِكَ ، وحُكْمِكَ بَيْنَ النَّاس بالْعَدْلِ ..

فَمدَّ تعْلوبُ عُنُقَهُ إِلى الأمَامِ ، ومَالَ على أرْنُوبٍ قَائِلاً :

- الآنَ عَرفْتُ أنَّ كُلَّ ما قِيلَ لى عَنْكَ مِنْ كَلاَمِ السُّوءِ لَيْسَ صَحِيحًا .. رُبَّمَا تكُونُ قَدْ كِدْتَ لأحَدِ الأغْبِياءِ ، ولكنْ حَسَنًا فَعلْتَ ، ولْيَلُمْ هُوَ نَفْسَهُ ..

فسكَتَ أرْنوبُ ولَمْ ينْطِقْ بِكَلِمةٍ واحِدةٍ ..





وبعدَ قليلٍ نظرَ إليْهِ تَعْلوبُ قَائِلاً :

ـ فى أىِّ شَىْءٍ جِئْتَ تَقْصِدُنى يَا أَخِى ؟!

فقالَ أرْنوبُ بعْدَ تَفْكيرٍ قَصير :

ـ جِئْتُ أطْلُبُ مِنْكَ النُّصْحَ ، ولكِنْ لا أعْرِفُ مِنْ أيْنَ أبْدأُ ..

فشجَّعَهُ تعْلُوبُ قَائِلاً :

ـ تَحَدَّثْ ياأَخِى ولاتخْجَلْ ، فَمَهْمَا كانَتْ قَضِيَّتُكَ فَسوْفَ أَحْكُمُ فِيهَا لِصَالِحِكَ .. إنَّ هَذَا الثَّوْبَ يُدْفِئُ قَلْبِى ، ولَنْ يَجْعَلَنِى أَنْطِقُ بِغَيْرِ ذَلِكَ ..

فانْحَنَى أَرْنُوبٌ أمامَهُ قَائِلاً :

ـ شُكْرًا يَا أَخِي .. شُكْرًا .. طَالَمَا أَنَّكَ مُتَعَاطِفٌ مَعِي إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ ، فَسَوْفَ أَحْكِي لكَ عَنْ كُلِّ شَيءٍ بِأَمَانَةٍ وَصِدْقٍ ..

فَقَالَ ثَعْلُوبٌ :

ـ تَفَضَّلْ ، فَأَنَا كُلِّي آذانٌ صَاغِيَةٌ لكَ ..

فَاعْتَدَلَ أَرْنُوبٌ فِي جِلْسَتِهِ ، وَقَالَ : كَانَ عِنْدِي خَادِمٌ ، وَقَدْ دَفَعْتُ فِيهِ أَجْرًا كَبِيرًا ، وتَعَلَّقْتُ بِهِ وَأَحْبَبْتُهُ حُبًا كَثِيرًا .. كُنْتُ أُحَافِظُ عَلَيْهِ ، كَمَا تُحَافِظُ الأُمُّ عَلَى أَطْفَالِهَا ، والطُّيُورُ عَلَى صِغَارِهَا ..



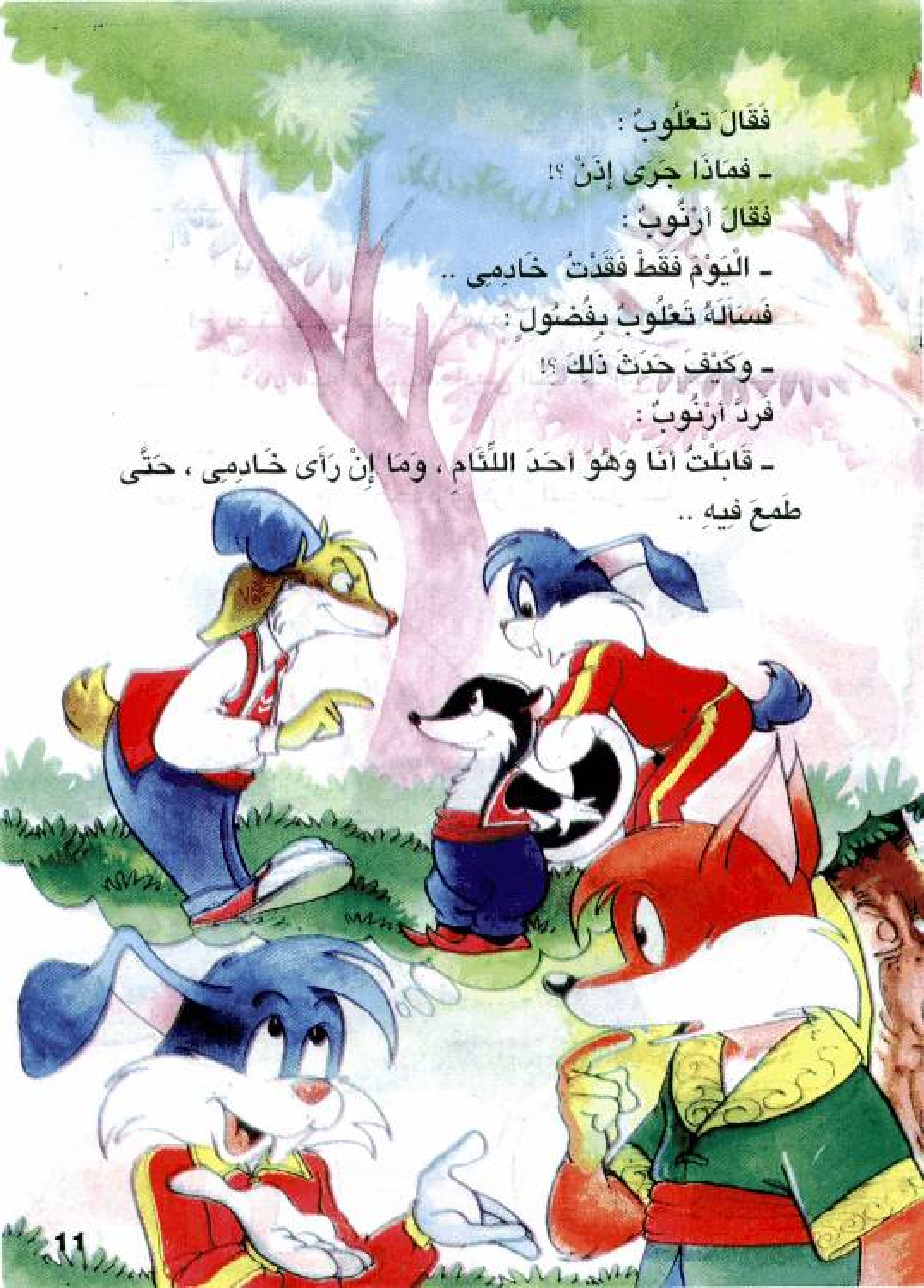


فَقَالَ تَعْلُوبُ مُقَاطِعًا :

ـ هَذَا وَاضِحٌ مِنْ سُلُوكِكَ النَّبِيلِ مَعِى ..

فَقَالَ أَرْنُوبُ :

ـ لَمْ يَكُنْ هُوَ خَادِمِى ، بَلْ أَنَا الَّذِى كُنْتُ خَادِمَهُ .. كُنْتُ أَعْمَلُ أَنَا ، وَهُوَ يَجْلِسُ مُسْتَرِيحًا ، وَإِذَا سَقَطَتْ عَلَيْهِ ذَرَّةُ تُرَابٍ كُنْتُ أَنْفُضُهَا عَنْهُ بِحِرْصٍ شَدِيد ، وَإِذَا مَسَّتْهُ قَطْرَةُ مَاءٍ كُنْتُ أُجَفِّفُهَا عَنْهُ بِسُرْعَةٍ ، وَعِنْدَمَا كُنَّا نَخْرُجُ مَعًا كُنْتُ أَسِيرُ وَأَحْمِلُهُ على كَتِفِى ..



فقالَ تعلُوبُ :

ـ فماذا جرى إذنْ ؟!

فقالَ أرنُوبُ :

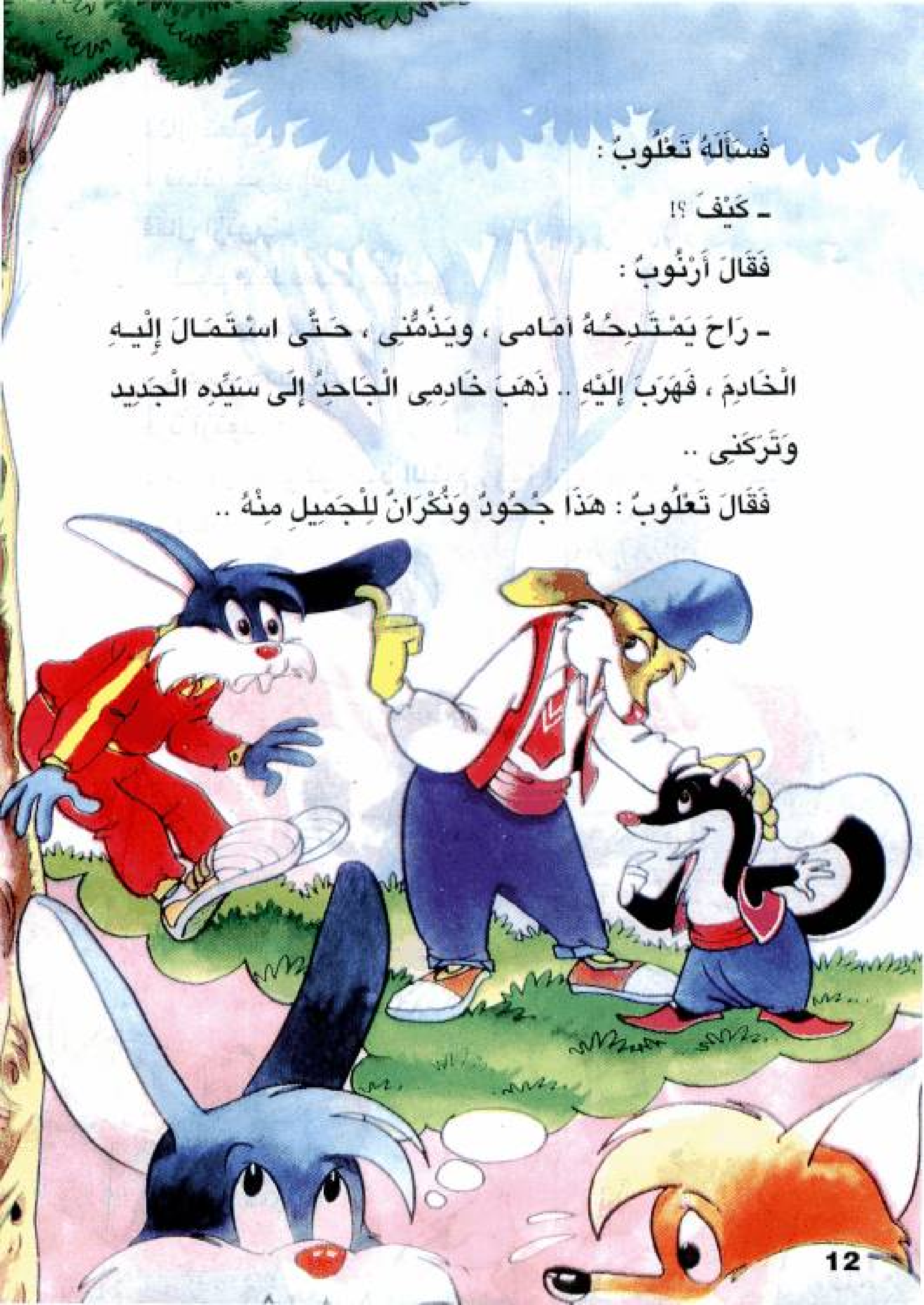
ـ اليومَ فقطْ فقدتُ خادِمِى ..

فسألَهُ تعلُوبُ بفُضولٍ :

ـ وكيْفَ حدثَ ذلكَ ؟!

فردَّ أرنُوبُ :

ـ قابلْتُ أنا وهُوَ أحدَ اللئامِ ، وما إنْ رأى خادِمِى ، حتَّى طمعَ فيهِ ..



فَسَأَلَهُ تَعْلُوبُ :

ـ كَيْفَ ؟!

فَقَالَ أَرْنُوبُ :

ـ رَاحَ يَمْتَدِحُهُ أَمَامى ، وَيَذُمُّنِى ، حَتَّى اسْتَمَالَ إِلَيْهِ الْخَادِمَ ، فَهَرَبَ إِلَيْهِ .. ذَهَبَ خَادِمِى الْجَاحِدُ إِلَى سَيِّدِهِ الْجَدِيد وَتَرَكَنِى ..

فَقَالَ تَعْلُوبُ : هَذَا جُحُودٌ وَنُكْرَانٌ لِلْجَمِيلِ مِنْهُ ..



فَقَالَ أرْنوبُ : مَاذَا أفْعلُ الآنَ ؟ فَكِّرْ بِمَاذَا تَنْصَحُنِي يَا أخِي ؟!

فَقَالَ تَعْلُوبُ : وَهَلْ هَذَا أمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَفْكِيرٍ ؟! ابْحَثْ عَنْ خَادِمِكَ ، حَتَّى تَجِدَهُ ، وَخُذْهُ إِلَى مَنْزِلِكَ ، ثُمَّ ابْدَأْ فِي جَلْدِهِ فَوْرًا بِالسَّوْطِ ..

فَقَالَ أرْنُوبُ :

ـ مَدَّ اللهُ لَنَا فِي عُمْرِكَ أيُّهَا الْحَكِيمُ تَعْلُوبُ .. إِنَّ رَأْسَكَ يُسَاوِي أكْثَرَ مِنْ وَزْنِهِ مَاسًا .. إِنَّكَ لَمْ تُصْدِرْ فِي حَيَاتِكَ كُلِّهَا حُكْمًا أعْدَلَ مِنْ هَذَا.. سَأُسَارِعُ فِي تَنْفِيذِ حُكْمِكَ فَوْرًا ..



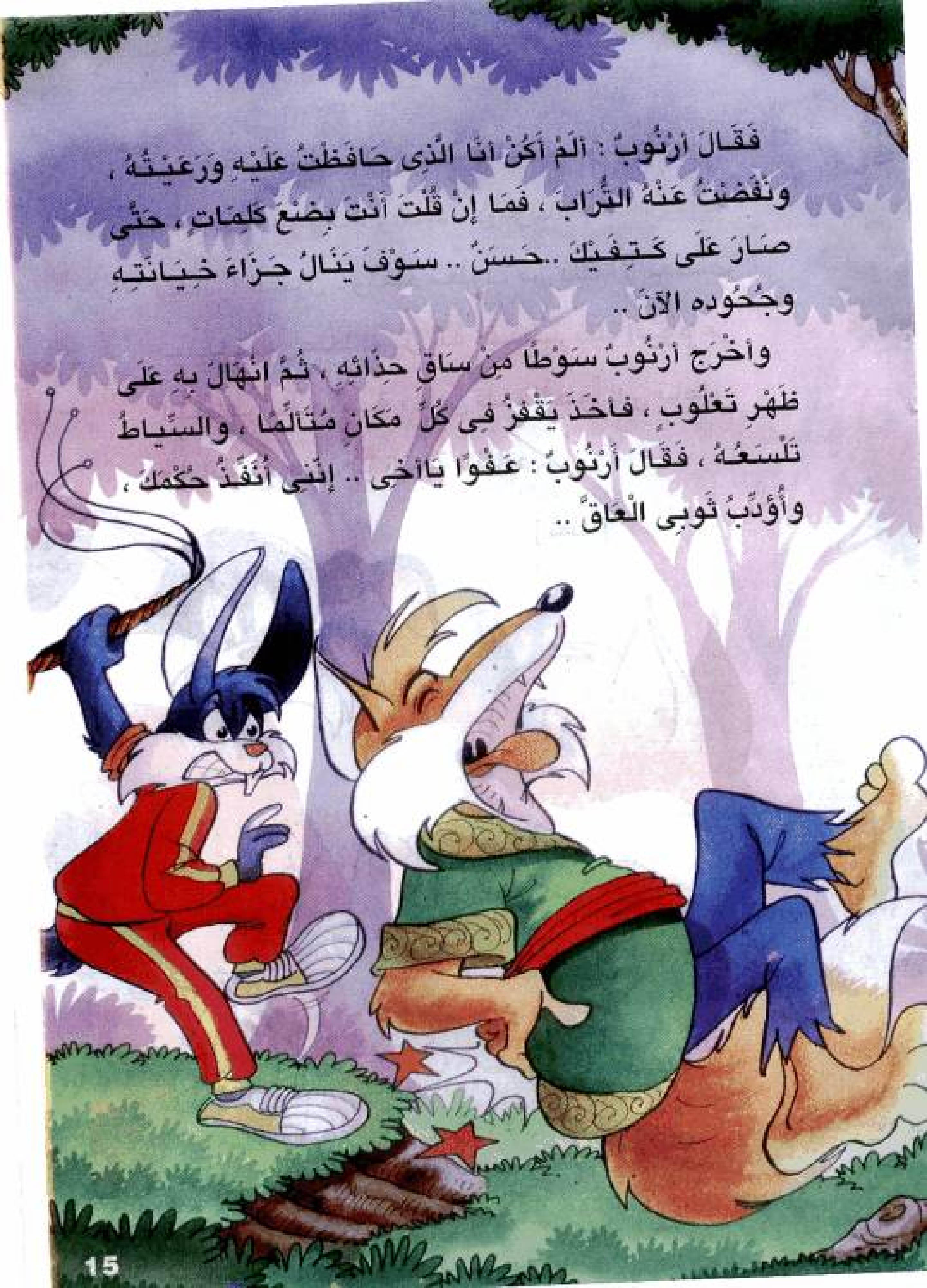
فَقَالَ تَعْلُوبٌ : هَيَّا اذْهَبْ وَابْحَثْ عَنِ الْجَانِى ..

فَقَالَ أَرْنُوبٌ : لاَ دَاعِىَ لِلْبَحْثِ عَنْهُ فَهُوَ مَوْجُودٌ هُنَا ، فِى هَذَا الْمَكَانِ ..

فَقَالَ تَعْلُوبٌ : مُتَشَكِّكًا : مَاذَا تَقْصِدُ ؟!.

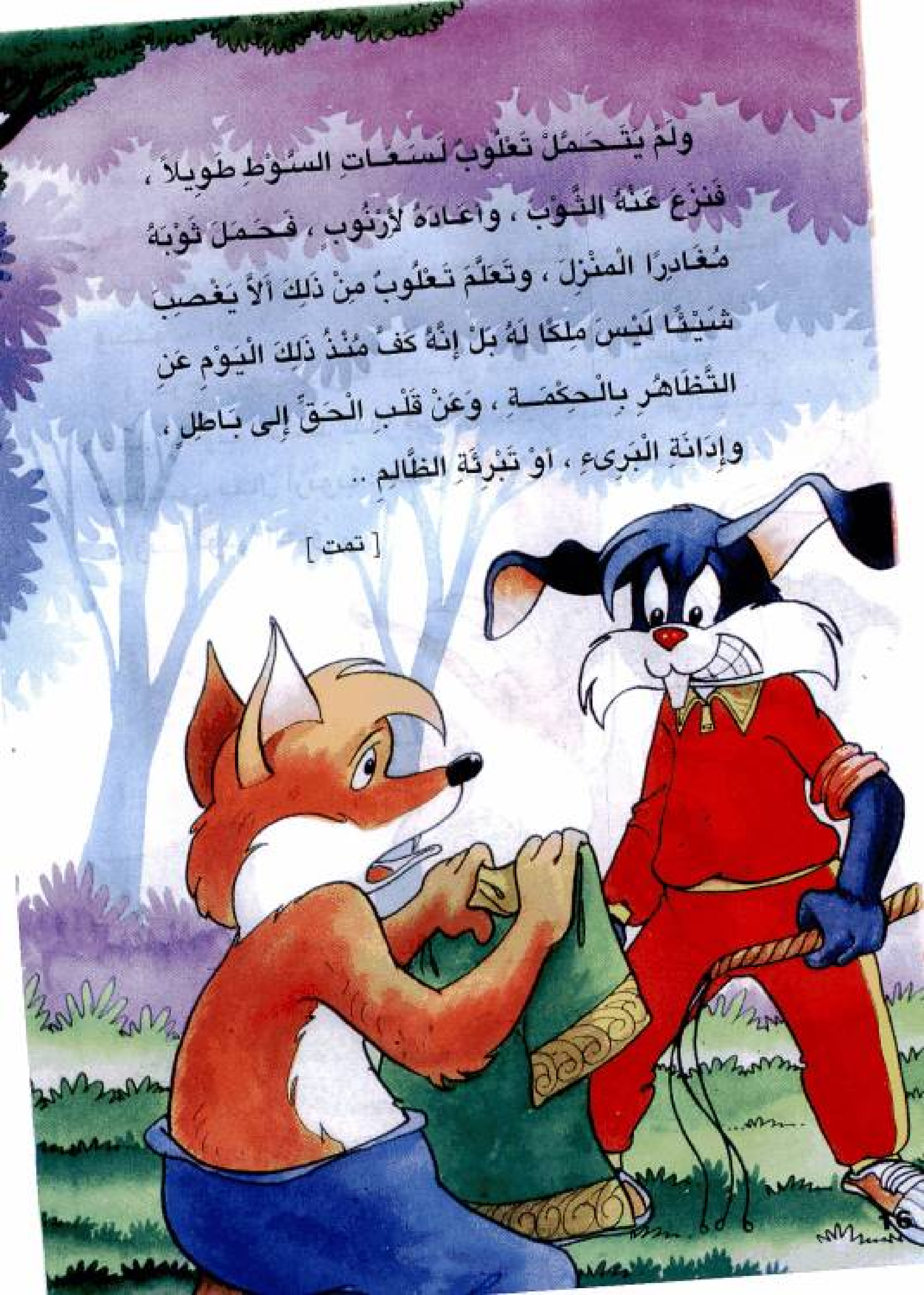
فَقَالَ أَرْنُوبٌ : الْخَادِمُ الْمَقْصُودُ هُوَ ثُوبِى ، الَّذِى اغْتَصَبْتَهُ مِنِّى ..

فَقَالَ تَعْلُوبٌ : كَيْفَ ؟!



فَقَالَ أَرْنُوبُ : أَلَمْ أَكُنْ أَنَا الَّذِى حَافَظْتُ عَلَيْهِ وَرَعَيْتُهُ ، وَنَفَضْتُ عَنْهُ التُّرَابَ ، فَمَا إِنْ قُلْتَ أَنْتَ بِضْعَ كَلِمَاتٍ ، حَتَّى صَارَ عَلَى كَتِفَيْكَ .. حَسَنٌ .. سَوْفَ يَنَالُ جَزَاءَ خِيَانَتِهِ وَجُحُودِه الآنَ ..

وَأَخْرَجَ أَرْنُوبُ سَوْطًا مِنْ سَاقِ حِذَائِهِ ، ثُمَّ انْهَالَ بِهِ عَلَى ظَهْرِ تَعْلُوبٍ ، فَأَخَذَ يَقْفِزُ فِى كُلِّ مَكَانٍ مُتَأَلِّمًا ، وَالسِّيَاطُ تَلْسَعُهُ ، فَقَالَ أَرْنُوبُ : عَفْوًا يَا أَخِى .. إِنَّنِى أُنَفِّذُ حُكْمَكَ ، وَأُؤَدِّبُ ثَوبِى الْعَاقَّ ..



وَلَمْ يَتَحَمَّلْ تَعْلُوبُ لَسَعَاتِ السَّوْطِ طَوِيلاً ، فَنَزَعَ عَنْهُ الثَّوْبَ ، وَأَعَادَهُ لأَرْنُوبٍ ، فَحَمَلَ ثَوْبَهُ مُغَادِرًا الْمَنْزِلَ ، وَتَعَلَّمَ تَعْلُوبُ مِنْ ذَلِكَ أَلاَّ يَغْصِبَ شَيْئًا لَيْسَ مِلكًا لَهُ بَلْ إِنَّهُ كَفَّ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَنِ التَّظَاهُرِ بِالْحِكْمَةِ ، وَعَنْ قَلْبِ الْحَقِّ إِلى بَاطِلٍ ، وَإِدَانَةِ الْبَرِيءِ ، أَوْ تَبْرِئَةِ الظَّالِمِ ..

[تمت]